دور قضاة الاندلس السياسي
في المرحلة الانتقالية
من عصر المرابطين الى عصر الموحدين

ا.م.د. علياء هاشم المشهداني

الأستاذ المساعد بجامعة الموصل /كلية التربية للعلوم الانسانية /

قسم التاريخ

دور قضاة الأندلس السياسي في المرحلة الانتقالية من عصر المرابطين الى عصر الموحدين

ا.م.د. علياء هاشم المشهداني

الأستاذ المساعد جامعة الموصل /كلية التربية للعلوم الانسانية / قسم التاريخ

الملخص العربي

في عام ٥٥٦هـ/١١٦٠م دخلت الأندلس عصرا جديدا بانتقالها من سلطة المرابطين إلى سلطة الموحدين، ولم يحدث ذلك الانتقال بصورة مفاجئة إذ سبقته تحولات عديدة مرت بها البلاد منذ عام ٥٠٠ هـ/١١٠٦م في مختلف الأصعدة ،والذي ينضوي تحت موضوعنا منها ما كان ممهدات التغيير على الصعيد السياسي.

وسنركز في هذا البحث على وجه التحديد على دور القضاة في ذلك التغيير باعتبارهم فقهاء يمثلون الجانب الديني أولا وباعتبارهم أصحاب وظائف إدارية يمثلون السلطة السياسية التي كانوا منضوين تحتها ثانيا ، إذ شهدت الأندلس في أواخر الحكم المرابطي قيام عدد من قضاتها بالثورة على سلطة المرابطين لا وبل بإعلان أنفسهم حكاما سياسيين للمدن التي كانوا متولين لقضائها وبخطوة لاحقة طمحوا لمد سلطتهم إلى مدن أخرى ، مما يثير تساؤلا مهما ،عن إشكالية تطرح على مر العصور وهي: ما هو دور من يمثلون الجانب الديني عند حصول مقدمات للتغيير في السلطة أو أي فراغ سياسي؟ وهذا ما سنحاول الإجابة عنه وفق معطيات ما قام به عدد من قضاة الأندلس أبان الانتقال من العصر المرابطي إلى الموحدي ،وذلك بعد البحث عن الأسباب والغايات التي دفعتهم لذلك كم متابعة مدى استمراريتهم بالسلطة وما حققوه من خطوتهم تلك ، لاسيما إن ما قام به أولئك القضاة لم نجد له ما يشابهه في مجمل تاريخ الأندلس والمغرب في العصور الإسلامية.

الكلمات المفتاحية: الاندلس، ثورة ، قضاة ، المرابطون .

The Role of Judges of Andalusia in the Transitory Stage from Almoravid Dynasty Era to Almohads Era.

Dr. Alyaa Hashim Al Mashhadani
University of Mosul/College of Education for Humanitarian Sciences/ Department of History

Abstract

Andalusia, in 556 A.H/1160P.H,. entered a new era, transferring from the rule of Moravids* to that of Mohads**. This transition did not take place all of a sudden, it was preceded by many changes through which Andalusia went since 500 A.H./1106P.H at various levels; our subject comprises the preludes of change on the political side, and we shall be focusing in our research specifically on the role of judges in that change, firstly, being men of jurisprudence representing the religious authority, and secondly, occupying administrative posts representing the political authority under which they act. In the late period of Moravids' rule, Andalusia witnessed the revolution of some of its judges against the rule of Muravids, in fact, they announced themselves political rulers in the cities in which they were their judges, and in later step they aspired to extend their power to other cities, and this raises an important question: what is the role of representatives of religious authority at the advent of changes of power or in case of political vacuum? This is what we shall attempt to answer basing on what some of Andalusia's judges did during the transition from Moravids era to Mohads' after exploring the reasons and means that motivated them, then observing their staying in power and the things they achieved, having in mind that what those judges did has nothing alike in the whole history of Andalusia and Morocco in the Islamic eras.

Key words: Andalusia, Revolution, Judges, Moravids

*(In Arabic: المرابطون, *Al-Murābiṭūn)*, the followers of the Dar al-Murabitin, "the house of those who were bound together in the cause of God." (Wikipedia)

** (In Arabic: الموحدون (al-Muwaḥḥidūn), "the monotheists" or "the unifiers" (Wikkipedia)

المقدمة :

انتقلت الاندلس الى عصر جديد حيث انتهت سلطة المرابطين وبدأت سيادة الموحدين وذلك في عام ٥٥٦هـ/١١٦٠م ، ولم يحدث ذلك الإنتقال بصورة مفاجئة، إذ سبقته تحولات عديدة مرت بها الأندلس منذ عام٥٠٠ هـ/١١٠٦م في مختلف الأصعدة، ومنها مما يعد من اهداف موضوعنا ممهدات التغيير على الصعيد السياسي. وسنركز في هذه الدراسة على وجه التحديد على دور القضاة في ذلك التغيير بوصفهم فقهاء لهم صفة تنضوي ضمن الاطار الديني أولا وباعتبارهم أصحاب وظائف إدارية يمثلون السلطة السياسية الحاكمة ثانيا ، إذ شهدت الأندلس في أواخر الحكم المرابطي قيام عدد من قضاتها بالثورة على سلطة المرابطين لا وبل إعلان أنفسهم حكاما سياسيين للمدن التي كانوا متولين لقضائها وبخطوة لاحقة طمحوا لمد سلطتهم إلى مدن أخرى. مما يثير تساؤلا مهما، عن إشكالية تطرح على مر العصور وهو: ما هو دور رجال الدين عند ظهور مقدمات للتغيير في الدولة أو عند حدوث أي فراغ سياسي؟ وهذا ما سنحاول الإجابة عنه وفق معطيات ما قام به عدد من قضاة الأندلس أبان الإنتقال من العصر المرابطي إلى الموحدي، وذلك بعد البحث عن الأسباب والغايات التي دفعتهم لذلك و متابعة مدى إستمراريتهم بالسلطة وما حققوه من خطوتهم تلك، وتقييمها لتبيان اهمية هذه التجربة سلبا او ايجابا، لاسيما وأن ما قام به أولئك القضاة لم نجد له مثيلا في مجمل تاريخ الأندلس والمغرب في العصور الإسلامية.

وسندرس هذا الموضوع من خلال ثلاثة محاور، نسبقها بتمهيد لتحليل ثورة القضاة حيث يقتضي مقارنة موقف القضاة الثائرين بمواقف

قضاة سابقين لهم، ومعرفة دورهم في تجاوز الأزمات السياسية التي مرت بها الأندلس، هذا بالاضافة إلى ضرورة عقد مقارنة بين موقف القضاة الثائرين مع موقف غيرهم من قضاة عاصروهم ممن رفضوا ثورتهم، أو إتخذوا جانبا محايدا، أو حاولوا إلتزام موقف أخر، وثم في المحور الأول نبحث في العوامل المساعدة لقيام ثورات القضاة، إذ كان لمجمل أحداث الأندلس خلال تلك الحقبة تأثير مباشر على ثورة القضاة فيها،

وفي المحور الثاني نتطرق الى تفصيل حيثيات ثورة قرطبة، وفي المحور الثالث نصل الى تقييم تلك الثورات وتحليل و موقف أولئك القضاة مع تقديم دراسة نقدية لهذه المواقف .

تمهيد: نماذج لمواقف سياسية لقضاة الاندلس

للتحليل المحايد لموقف القضاة القائمين بالثورة على السلطة الحاكمة والقيام بالتغيير السياسي في العصر المرابطي، علينا مقارنة ماقاموا به مع غيرهم من القضاة الذين عاشوا ظروفا مشابهة في أوقات سابقة لعصرهم من تاريخ الأندلس أو ممن عاصروهم، لنتمكن من تقييم موقفهم بدقة وموضوعية واقرب مثال يمكن الاستعانة به هو موقف قضاة الأندلس من دول الطوائف والذي يمثل العصر السياسي السابق للعصر المرابطي، ففي نهاية عصر دول الطوائف، شهدت الأندلس أوضاعا سياسية متأزمة بسبب الفرقة وعدم توحيد الرأي بين حكامها، مما أفسح المجال للمد النصراني بحيث أصبحت العديد من المدن الأندلسية مهددة بخطر السقوط بيد النصارى[١].

وأمام هذا الوضع الصعب وقع على عاتق فقهاء الأندلس مسؤولية مهمة بإيجاد الحلول الناجعة، والتخلص من خطر السقوط امام المد النصراني، وكان للقاضي ابي الوليد سليمان بن خلف الباجي الدور الحاسم في ذلك، إذ قرر أن المصلحة العليا للأندلس بالإستنجاد بالقوة الجديدة في المغرب، وهي الدولة المرابطية والتي تمثل إمتدادا دينيا وحضاريا للأندلس، واقتنع المعتمد ابن عباد احد ابرز أمراء الطوائف

[١] الحجي، التاريخ الاندلسي ، ص ٤٢٧ .

بهذا الطرح، وقال قولته المشهورة "رعي الجمال خير من الخنازير" وعمل على مخاطبة المرابطين لذلك الغرض[1].

وكان قضاة الأندلس هم من مثلها في ذلك الطلب، وكانوا رسل المعتمد بن عباد الى امير المرابطين يوسف بن تاشفين، اذ تكونت سفارته من عنصرين الأول وزيره ابو بكر بن زيدون ليمثله إداريا، ويبرم مايحتاجه الاتفاق من عقود سلطانية، وثلاثة من قضاة أهم مدن الأندلس وهم قاضي بطليوس ابو اسحاق بن مقانا، وقاضي غرناطة القليعي، وقاضي قرطبة ابو بكر عبيدالله بن ادهم، وكان دورهم لوعظ يوسف بن تاشفين وترغيبه بالجهاد، ونجدهم مثلوا الشق الديني والشعبي[2]، وهذا الموقف لم يأت من الحاكم السياسي، وانما من ضغط الناس بتأثير موقف القاضي ابي الوليد الباجي، فبادر المعتمد بن عباد بدعوة المرابطين[3]، اجتمع الفقهاء في قرطبة وقرروا العبور الى المرابطين في المغرب وبذلك أدوا دورهم بتحمل مسؤليتهم التاريخية في المحافظة على بقاء الأندلس[4] .

كما كان أمام قضاة الأندلس في العصر المرابطي، نماذج لقضاة عاصروهم، وقد مارسوا دور الاصلاح السياسي في وقت الأزمات وليس اخذ زمام المبادرة الى التغيير كما فعل القاضي ابن حمدين ومن حذا

---

[1] احمد بن خالد السلاوي، **الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، (بلا.ت)، ج٢، ص ٣٨_٣٩ .

[2] ابن الآبار، الحلة السيراء، ج٢، ص ٩٨ ؛ الحجي ،التاريخ الاندلسي ، ص ٤٢٣ .

[3] الحجي، التاريخ الاندلسي ، ص ٤٢٨ .

[4] بن بيه، الاثر السياسي ، ص ١٤١ .

حذوه في اواخر العصر المرابطي، ومن ابرز الأمثلة على ذلك القاضي ابو الوليد محمد بن احمد بن رشد الجد، حيث شهد في عام ٥١٤هـ/١١٢٠م بوادر ثورة من أهل قرطبة على واليهم المرابطي بعد سوء أحوالهم وبغي الوالي، وساند الفقهاء الأهالي في ذلك، وتطور الموقف بطرد الوالي المرابطي من المدينة والإستيلاء على أمواله وأموال غيره من المرابطين، مما اضطر أمير المرابطين علي بن يوسف الى العبور الى الأندلس ومحاصرة قرطبة[١]، وأمام ذلك تولى القاضي ابو الوليد بن رشد مهمة التفاوض مع الأمير المرابطي وإيجاد حلول للمشكلة[٢]، واستعفى من القضاء بعد أن انتهت الأزمة، ونال ذلك الموقف منه تقدير و اعجاب الناس و امير المرابطين، به اثبت ترفعه عن الحصول على حظوة لدى السلطة السياسية وكانت غايته من جهوده هي رأب الصدع الذي تهدد في الاندلس[٣] .

وفي عام ٥٢٠هـ/١١٢٦م ساءت أوضاع الأندلس، فبادر ابو الوليد بن رشد بالسفر الى أمير المرابطين في المغرب علي بن يوسف، وشرح له تفاصيل ذلك وضرورة معالجة الموضوع لإمتصاص غضب الناس، وحمل معه حلولا لذلك[٤]. نجده تحمل المسؤولية ولم يؤجج موقف العامة، أو يحاول استغلاله لمصلحته الشخصية، مع انه كان بامكانه ذلك

---

[١] النويري، تاريخ المغرب، ص ٣٩٢؛ مجهول، الحلل الموشية، ص ٨٦_٨٧ .

[٢] محمد بن محمد ابن عذارى، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تحقيق ج.س.كولان وليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، ١٩٨٣، ج١،ص ٣٠٨ .

[٣] القاضي عياض، الغنية، ص٥٤.

[٤] مجهول، الحلل الموشية، ص ٩٠.

لتقدير الناس له وإتباعهم إياه، وبمقارنة ماقام به مع ابن حمدين نجد تغايرا واضحا، وطبعا مع الفارق بين قوة المرابطين خلال فترة تولي ابن رشد وابن حمدين لقضاء قرطبة .

وفي السياق ذاته شهد ابو بكر محمد بن العربي الظروف نفسها التي عاشها ابن حمدين، كان شاهد عيان في اشبيلية على ثورة المريدين فيها ضد المرابطين، لكنه وقف موقفا مغايرا لموقف القاضي ابن حمدين، إذ لم يقف بجانب المريدين ورفض تيارهم الصوفي الذي نادوا به، وادرك ان الغرض من ثورتهم لتحقيق مآرب خاصة، ولايمكن لنتائجها ان تخدم مصالح الأندلس ووحدتها، وقد عانى كثيرا جراء موقفه هذا حيث ألب المتصوفة عامة اشبيلية عليه، واعتبروه من المقربين للمرابطين، فهوجم في بيته، وكاد ان يفقد حياته[1]، ومع هذا بقي على ولائه للمرابطين، ولم ينزلق الى مشاكل وتداعيات الخروج على السلطة، وعندما إستقر الامر للموحدين، وثبت انهم القوة الجديدة المؤهلة لحكم الأندلس والوقوف أمام المد النصراني، سافر اليهم رئيسا لوفد من علماء اشبيلية لبيعة الموحدين سنة ٥٤٣هـ/١١٤٨ م[2] ، في حين قدم ابن حمدين صورة معاكسة، استغل الوضع السياسي الهش للمرابطين لتحقيق مصلحة شخصية من خلال ادعاء السعي الى المصلحة العامة، وقلده في ذلك كل القضاة الثائرين في الأندلس .

---

[1] المقري، نفح الطيب، ج٢، ص ٢٩ .

[2] مؤلف مجهول، الحلل الموشية ، ص ١٠٥ .

المحور الاول : المهدات المساعدة لقيام ثورات القضاة

قامت ثورات القضاة عام ٥٣٩هـ/١١٤٤م في وقت حرج من عمر الدولة المرابطية، وقد أشار ابن الآبار[١] صراحة الى ضعف المرابطين أبان تلك الحقبة، لابل وبَينً ايضا أنهم توقعوا تداعي قوتهم بقوله :"وإتسع على المرابطين خرق لم يرقعوه وهجم عليهم حادث طالما توقعوه" حتى أنه إعتبر تلك السنة بداية أفول الدولة المرابطية في الأندلس "وفي عام تسع وثلاثين أخذت دولة الملثمين في الإنتقاض والإنقراض"[٢]، اذ تداعت أركانها في المغرب أمام الموحدين، وامتدت آثار ذلك الى الأندلس، فشهدت أوضاعا داخلية غير مستقرة على مختلف الأصعدة. واسهمت عوامل أخرى في سرعة تدهور أوضاع الأندلس، اذ اعترى إدارتها ضعف بعد مغادرة حاكمها الأمير تاشفين بن علي الى المغرب عام ٥٣٢هـ/١١٣٨م لإعلانه وليا لعهد أبيه الامير علي، وأدى ذلك الى ضعف ملحوظ لسلطان المرابطين في الأندلس إداريا وعسكريا، وتوالت هزائم المسلمين امام النصارى الذين وجهوا ضربات موجعة للمسلمين[٣]، كما انه إصطحب معه عند مغادرته للأندلس عددا من قوات

---

[١]. محمد بن عبدالله ابن الآبار، **كتاب الحلة السيراء**، تحقيق حسين مؤنس، دار المعارف، مصر، ١٩٨٥ ، ج٢، ص ١٩٩.

[٢]. ابن الآبار، الحلة السيراء، ج٢، ص ٢٥٠.

[٣]. عبد الرحمن علي الحجي، **التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة**، دار القلم، دمشق، ٢٠٠٨، ص ٤٧٣ _٤٧٤.

المرابطين[1] فقل بذلك عدد المقاتلين الموجودين فيها[2]، وانقطعت عنهم الإمدادات من المغرب مع تقدم الموحدين في المغرب[3]، وفي المقابل توحدت قيادات الممالك النصرانية وقاتلوا بضراوة ضد المرابطين وحققوا انتصارات واسعة عليهم[4] .

وتزامن مع الضعف السياسي والعسكري والإداري في الأندلس تردي الأوضاع الإقتصادية إذ شهدت الأندلس قحطا وخرابا لعدة سنوات، وأثر ذلك سلبا على النشاط الزراعي والصناعي فيها[5]، فنشطت حركات اللصوصية من جراء ذلك، مما انعكس سلبا على المستوى المعاشي والحياتي للناس محدثا تذمرا وسخطا على السلطة، ويقول لسان الدين بن الخطيب[6]في هذا السياق:"وتحاملت عليهم الناس وتوفرت دواعي

---

[1] عصمت عبد اللطيف دندش، **الأندلس في نهاية عصر المرابطين ومستهل الموحدين**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٨، ص ٤٣.

[2] مؤلف مجهول، **الحلل الموشية في ذكر الاخبار المراكشية**، تحقيق سهيل زكار وعبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ١٩٧٩، ص ١٢٣.

[3] محمد بن عبدالله لسان الدين ابن الخطيب، **كتاب أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام**، تحقيق وتعليق ليفي بروفنسال، دار المكشوف، بيروت،١٩٥٦،ص ٢٤٩ .

[4] دندش، الاندلس في نهاية عصر المرابطين، ص ٩_١٠؛ ابراهيم القادري بوتشيش، **المغرب والأندلس في عصر المرابطين (المجتمع،الذهنيات،الأولياء)**، دار الطليعة ،بيروت ،١٩٩٣،،ص ١٨ .

[5] حسن بن علي ابن القطان، **نظم الجمان لترتيب ما سلف من اخبار الزمان**، تحقيق محمود علي مكي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠١١، ص ٢٤٢ _٢٤٤ .

[6] لسان الدين بن الخطيب ،اعمال الاعلام ،ص ٢٤٩ .

الشتات بفترة الخوف وإستهدفوا الخلع وكثر التعدي في الطرق والدوابر في السبل والفتك بالرفاق" .

وإتخذ من تحامل الناس على السلطة المرابطية شكل الإحتجاج والثورة أحيانا، من ذلك ما حدث بين سنتي ٥١٤هـ و٥١٥هـ/١١٢٠م و١١٢١م، فقد ثارت قرطبة على الحكام المرابطين فيها،حتى ان اهلها قاتلوا المرابطين في قرطبة واقتحموا دورهم واستولوا على أموالهم، لتطاول عبيد المرابطين على النساء في قرطبة، ولم تخمد تلك الثورة إلا بعد مجئ امير المرابطين علي بن يوسف الى المدينة وتم تسوية الموضوع مع اهلها[١].

وثارت قرطبة مرة اخرى في سنة ٥٣٥هـ/١١٤٠م لسوء الأوضاع فيها وقلة الأمان، وتطاول ضعاف النفوس فيها على ممتلكات غيرهم، ولم يتمكن قاضيها آنذاك ابو القاسم احمد بن رشد من محاسبة المخربين، فأعلن اهل قرطبة عدم رضاهم عليه، مما إضطره الى الإستعفاء من القضاء وترك المدينة[٢]، ويبدو إن الذي شجعهم على ذلك تسامح المرابطين مع مثيري الشغب والمحتجين من العامة واقسى عقاب يمكن ان يطالهم هو الإعتقال الطويل[٣] .

---

[١] احمد بن عبد الوهاب النويري، **تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط(من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب)**، تحقيق مصطفى ابو ضيف احمد، دار النشر المغربي، ١٩٨٥، ص٣٩١_٣٩٢؛

[٢] لسان الدين بن الخطيب ،اعمال الاعلام ،ص ٢٥٢_٢٥٣ .

[٣] دندش ، الاندلس في نهاية عصر المرابطين، ص ٣٥ .

وعلى الرغم من كل تلك الاحداث الجسام كان لثورة المريدين في اشبيلية الأثر الأكبر في تشجيع القضاة على ثورتهم في باقي أنحاء الأندلس، وتعد ثورة المريدين نوعا من الإحتجاجات، اذ اخذت ابعاداً فكرية، وملخصها قيام جماعة من المتصوفة يتزعمهم احمد بن الحسين بن قسي[1] بالثورة على المرابطين عام ٥٣٨هـ/١١٤٣م[2]، وبالعودة الى موقف المرابطين من التصوف نجد أن التصوف الأندلسي تعرض لنكسة عند دخول المرابطين اليها لمعارضة الفقهاء لكثير مما نادى به المتصوفة، وكان للفقهاء الكلمة المسموعة لدى السلطة المرابطية[3]. وكان في الأندلس خطان من التصوف الأول القائم على اقتفاء أثر السلف الصالح بالحرص الشديد على الإلتزام بأوامر الشرع والإكثار من العبادات لاسيما النوافل منها، وهذا محبب الى عامة الناس ولم تعترض السلطة

---

[1] هو رومي الاصل من بادية شلب،اهتم بالأدب والشعر في بداية حياته وبعد ذلك اهتم بالتصوف متأثرا بابي العباس ابن العريف من ابرز مؤلفاته كتاب خلع النعلين، اشتهر بإعتباره أول الثائرين على السلطة المرابطية في الأندلس، توفي سنة ٥٤٦هـ/١١٥١م: ابن الآبار، الحلة السيراء، ج٢، ص١٩٧.

[2] ابن الآبار، الحلة السيراء، ج٢، ص ١٩٨ ؛ لسان الدين بن الخطيب ،اعمال الاعلام ، ص ٢٤٩ .

[3] محمود علي مكي ، "التراث المشترك الأندلس المغربي في ميدان التصوف"، كتاب: **التراث الحضاري المشترك بين اسبانيا والمغرب والمغربي**، ندوة دولية ايام ٢١_٢٣ ابريل ١٩٩٢،منشورات اكاديمية المملكة المغربية ، الرباط،١٩٩٣، ص ١٦١.

عليه[١]، والخط الثاني تيار صوفي فلسفي متأثر بالتراث اليوناني، وكان ابن قسي من أتباعه، وقد أثار هذا التيار حفيظة العلماء لاعتبارهم هذه الطائفة خارجة عن الشرع، وممن عارضهم أبو بكر محمد بن عبدالله بن العربي لاعتقادهم في كثير من المعتقدات الغريبة على الإسلام مثل قولهم بالحلول والإتحاد[٢] .

وقد قاد ابن قسي ثورة مريديه للدفاع عن خطه الصوفي، ولكن تغيرت اهدافها بعد تحقيقها لانتصارات امام السلطة المرابطية[٣]، وقدمت صورة عن تطرف المتصوفة في اتخاذهم موقفا ثوريا من السلطة الحاكمة بعيدا عن الخطاب الصوفي[٤]، لكنه في الوقت ذاته عبر عن تأزم أوضاع الأندلس وانفراط عقد الدولة المرابطية فيها. وقد قدم الباحث ابراهيم القادري بوتشيش تحليلا دقيقا عن ذلك بقوله : "رغم الفشل الذي مني به ابن قسي فانه اسهم في زعزعة أركان النظام المرابطي وعبرت ثورته بجلاء عن طموحات الطبقتين الوسطى والعامة في غرب الأندلس على تحريك رياح التغيير وتمهيد الطريق للاندلس ومعها كل اقطار الغرب الاسلامي لدخول عصر جديد مع الموحدين"، لذا عندما حلت سنة ٥٣٩هـ/١١٤٤م العام الذي ثار فيه القضاة كانت الأندلس تتأرجح على

---

[١] بوتشيش ،المغرب والاندلس،ص ١٣٠_١٣١ ؛ محمد محمود عبدالله بن بيه، **الاثر السياسي للعلماء في عصر المرابطين**، الأندلس الخضراء _ دار ابن حزم، جدة – بيروت، ٢٠٠٠، ص ١٢٢ .

[٢] بوتشيش، المغرب والاندلس، ص ١٣٣ ؛ ابن بيه، الاثر السياسي، ١٢٣.

[٣] ابن الآبار ، الحلة السيراء، ج٢، ص ١٩٨ .

أرضية هشة مطاوعة للتغيير ولاسيما اذا كان من داخلها، وكان لثورة المريدين ومساندة اهل اشبيلية اكبر عامل مشجع للقضاة للقيام بثوراتهم على المرابطين .

المحور الثاني : ثورات القضاة

ثورات مدن الاندلس:

قسمت الأندلس إداريا إبان الوجود المرابطي الى ست ولايات هي: اشبيلية، غرناطة، قرطبة، بلنسية، مرسية، سرقسطة، وقد سقطت سرقسطة سنة ٥١٢هـ/١١١٨م على يد النصارى، والعاصمة هي قرطبة و تاتي غرناطة بعدها بالأهمية الإدارية[١]، ومنذ سنة ٥٣٩ه/١١٤٤م ثارت تلك المدن ضد السلطة المرابطية، بدأت في اشبيلية مع ثورة المريدين بزعامة ابن قسي، ثم قرطبة بزعامة قاضيها ابو جعفر حمدين ابن محمد بن حمدين[٢]، ومنها إمتدت الى باقي مدن الأندلس مع دعوة ابن حمدين لزعماء تلك المدن الى موالاته والخروج على طاعة السلطة المرابطية، والافت للانتباه في هذا أن ابن حمدين كان قاضي المدينة، وله حظوة وهيبة لدى السلطة الحاكمة ولدى الناس، والتي إستمدها من صفته الدينية والعلمية بوصفه من أبرز فقهاء الأندلس، وقد حذا حذوه في الخروج على السلطة المرابطية قضاة

---

[١] دندش ،الاندلس في نهاية عصر المرابطين، ص ٤٥_٤٦ .

[٢] نشأ ابن حمدين في عائلة معروفة في الأندلس بوجاهتها وعلميتها تولى العديد من أفرادها قضاء قرطبة وكانوا بمقدمة فقهائها، كما عُرفوا بقربهم من السلطة المرابطية، ومنحهم ذلك نفوذا لدى عامة الناس: للاستزادة في ترجمة ابن حمدين وعائلته ،يراجع :القاضي عياض بن موسى اليحصبي، **الغنية فهرست شيوخ القاضي عياض**، تحقيق ماهر زهير جرار، دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٢، ص ٤٦؛ ابن القطان، نظم الجمان، ص٧٤؛ احمد بن محمد المقري، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٩٧، ج٤، ص٧٦.

اخرون، ولم يحدث ان خرج مجموعة قضاة من طاعة السلطة الحاكمة وتنصيب انفسهم حكاما للمدن التي كانوا قضاتها الا في الاندلس .

وعلى إثر ثورة ابن حمدين وتقليدا له ثارت كل مدن الأندلس الرئيسة، اذ فتح ذلك المجال أمام الطامعين في السلطة للحصول عليها، وقد عبر عن ذلك لسان الدين ابن الخطيب بقوله[1]: " فلما دعا ابن حمدين الى نفسه واقتدى به غيره .....وخاض به الفتنة خوض الجراة "، وسنقصر إيرادنا لتفاصيل الثورة التي تزعمها ابن حمدين في قرطبة فقط، باعتبارها الشرارة التي انطلقت منها ثورات القضاة في مدن الأندلس الأخرى، وتشابهت حيثيات وتفاصيل تلك الثورات، بل إن خطوطها العريضة واحدة تقريبا، كما أن بعض تلك الثورات بدأت بموالاة ابن حمدين وتأييد زعامته ، ثم إنفصلت عنه .

بدأت ثورة قرطبة عندما اعلن ابن حمدين نفسه حاكما على المدينة، إذ بايعه الناس بجامع قرطبة في الخامس من رمضان/آذار ٥٣٩هـ/١١٤٤م، وسكن قصر الخلافة وتسمى بأمير المسلمين وناصر الدين[2]، وهذا يعني إنسلاخ قرطبة عن سلطة المرابطين في هذه السنة، والذي شجعه على ذلك إنشغال قوة المرابطين الرئيسة بقيادة ابو زكرياء

---

[1]. اعمال الاعلام، ص ٢٦٤ .

[2]. ابن الآبار ،الحلة السيراء، ج٢، ص٢١٨ ؛ محمد بن عبدالله ابن الآبار، **التكملة لكتاب الصلة**، تحقيق عبد السلام الهراس، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥، ج١، ص٢٣٥؛ لسان الدين بن الخطيب ، اعمال الاعلام، ص ٢٦٤ ؛ عبدالله بن الحسن النباهي ، **تاريخ قضاة الأندلس(المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا)**، دار الأفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨٣، ص١٠٣ .

يحيى بن علي بن غانية[١] بمقاومة ثورة المريدين في مدينة شلب[٢]، كما أن أوضاع قرطبة الداخلية لم تستقر منذ انتفاضتهم سنة ٥٣٥هـ/١١٤٠م ولم يهدأ سخط العامة على واليها ابي عمر اللمتوني، في حين كان ابن حمدين منذ ذلك التاريخ يستميل الناس ويكسب ودهم لتحقيق مآرب في نفسه بالرياسة والتقدم، وتحقق له ذلك فعلا سنة ٥٣٩هـ/١١٤٤م إذ إتفقوا على تأميره عليهم[٣].

وكانت أول الإجراءات التي قام بها بعد بيعته البحث عن موالين ومؤيدين له من مدن اخرى، وجاءه التأييد من مدينة مرسية حيث ايده ابو محمد بن الحاج اللورقي وهو عبد الرحمن بن جعفر بن ابراهيم دعا اياما لابن حمدين من رمضان وشوال لكنه سرعان ما غير رأيه، وفضل ترك ابن حمدين[٤]، لكن تغيرت أوضاع مرسية حين دخلتها قوات احمد ابن عبد الملك بن هود[٥]، وأُخرج اللورقي منها في نصف شوال سنة

---

[١] من ابرز ولاة وقواد المرابطين في الأندلس، تمركز في أواخر الحكم المرابطي في الأندلس في غرناطة مع أخر القوات المرابطية في الأندلس، توفي سنة ٥٤٣هـ/١١٤٨م: محمد بن عبدالله لسان الدين بن الخطيب، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣، ج ٤، ص٣٠٠ _٣٠٢.

[٢] ابن الآبار، الحلة السيراء، ج٢، ص٢٠٦ .

[٣] لسان الدين بن الخطيب ، اعمال الاعلام، ص ٢٥٢_٢٥٣ .

[٤] ابن الآبار ، الحلة السيراء، ج٢، ص ٢٧٧؛ محمد بن عبدالله ابن الآبار، **معجم أصحاب القاضي ابي علي الصدفي**، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، ٢٠٠٠، ص ٢٣٤ .

[٥] ويعد ابن هود من حكام بقايا دول الطوائف التي لم تسقط بوجود المرابطين في الأندلس ، ويعود نسبه الى ابو ايوب سليمان بن محمد بن هود كان من كبار القادة في سرقسطة وعند اشتعال الفتنة في الأندلس بعد عصر الحجابة ، استولى على مدينة =

٥٣٩هـ/١١٤٤م، غير أنه لم تمكث قوات ابن هود طويلا، حيث خرجت من مرسية في اخر شوال، فأرسل اليهم ابن حمدين عبدالله الثغري واليا وعين ابا جعفر بن ابي جعفر قاضيا ووصل الثغري منتصف شوال الى مرسية، لكن رغب ابو جعفر بن ابي جعفر بالرئاسة لنفسه، وحصل على تأييد أهل مرسية بذلك ولما تم له مأراد خلع بيعة ابن حمدين، وبقيت بيده السلطة الى نهاية العام وجزء من سنة ٥٤٠هـ/١١٤٥م[١]، حيث قتل في صفر من السنة نفسها إثر مواجهات مع المرابطين[٢] .

وابو الغمر بن السائب بن عزرون في شريش[٣] وابو الحسن ابن اضحى في غرناطة[٤]، ورضي اهل غرناطة بموقف ابن اضحى فطردوا المرابطين منها وهم بقيادة علي بن ابي بكر بن فنو وتوجهوا على إثر ذلك الى قصبة غرناطة واحتموا فيها، ونشب قتال طويل بين الجانبين،

=

لاردة سنة ٤٣١هـ/١٠٣٩م ومنها دخل سرقسطة وأصبح صاحب الثغر الأعلى وبقي بنو هود يحكمون سرقسطة الى سنة ٥٠٣هـ / ١١٠٩ م عندما دخلها المرابطون وانحسر نفوذهم الى اقطاعا بجوار طليطلة بعد موالاتهم للنصارى ،وأخر ملوكهم سيف الدولة احمد بن عبد الملك بن احمد وكان له دورا مهما في ثورة القضاة : ابن الآبار ، الحلة السيراء، ج٢، ص ٢٨٥.

[١] ابن الآبار، الحلة السيراء، ج٢، ص ٢٢٧ _٢٢٩ ؛ ابن الآبار ، المعجم، ص ٢٣٤_٢٣٥ .

[٢] ابن الآبار ،الحلة السيراء، ج٢، ص ٢٣٠ .

[٣] ابن الآبار ،الحلة السيراء، ج٢، ص ٢١٢ ، ٢٣٤،٢٤١ .

[٤] ابن الآبار ،الحلة السيراء، ج٢، ص ٢١٢ ، ٢٣٤،٢٤١ ؛ محمد بن محمد بن عبد الملك المراكشي، **الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة**، تحقيق احسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٥، ق١، ج٥، ص٢٢٣ .

واضطر لذلك ابن اضحى الى الإستعانة بمعونة عسكرية من خارج غرناطة، فطلبها من ابن حمدين في قرطبة ومن ابن جزي قاض جيان فأرسل اليه ابن حمدين ابن اخيه ابن ام العماد علي بن ابي القاسم احمد لكنه لم يقدر أن يدخل غرناطة، لان ابن هود سبقه ودخلها، فعاد ابن ام العماد الى قرطبة[١]، وأرسل قوات اخرى بقيادة ابن عمه المعروف بالفلفلي، ولم يتمكن ايضا من دخول المدينة[٢]، ويبدو انه بذلك انتهى دعم ابن اضحى لابن حمدين ودخلت غرناطة بمعارك كثيرة مع المرابطين.

ومع إعلان ابن حمدين لحكمه حاولت أطراف أخرى غيره السيطرة على قرطبة، مثل ابن قسي زعيم المريدين في اشبيلية وابن هود فضلا عن المرابطين، فعانت المدينة جراء ذلك حالة من التخبط وتصارع القوة، إذ لم ترض كافة التيارات الموجودة بقرطبة على إعلان ابن حمدين نفسه حاكما على المدينة، وحاول كل طرف أن يساند من يميل اليه، فما أن سمع ابن قسي بما قام به ابن حمدين في قرطبة حتى طمع بمد سيطرته اليها، في الوقت الذي كان نفوذه محصورا في اشبيلية وما يجاورها، وبدأت محاولات ابن قسي للسيطرة على قرطبة بإرساله قوة عسكرية لدخولها، بعد أن طلب من اهلها ان يناصروه، وقد وجد من عامة قرطبة بالربض الشرقي من رغب بمساندته ودخول قواته الى المدينة، شجعهم على ذلك ابو الحسن علي بن عتيق بن مؤمن[٣] .

---

[١] ابن الآبار، الحلة السيراء، ج٢، ص ٢١٢ .

[٢] ابن الآبار، الحلة السيراء، ج٢، ص ٢٣٠ .

[٣] ابن الآبار، الحلة السيراء، ج٢، ص ٢٠٦ ؛ لسان الدين بن الخطيب، اعمال الاعلام، ص ١٧٦.

سارت قوات المريدين الى قرطبة والتي ضمت قوات شلب ولبلة بقيادة محمد بن عمر بن المنذر ومعه محمد بن يحيى المعروف بابن القابلة وهو كاتب ابن قسي، وأرسل معهما خطابا الى اهل قرطبة يدعوهم فيه الى الإنضمام اليه، ولكن خاب ذلك المسعى، ولم يتمكن ابن قسي من السيطرة على قرطبة لقلة مناصريه فيها[1]، وفي الوقت نفسه طلب عدد من أهل قرطبة من احمد بن عبد الملك بن هود دخول المدينة وحكمها .

[1] ابن الآبار، الحلة السيراء، ج٢، ص ٢٠٦ .

تحالف ابن هود والنصاري:

وفي خضم تدهور أوضاع الأندلس وأفول السلطة المرابطية فيها كان النصارى يتحينون الفرص لمد سيطرتهم على أكبر قدر ممكن من الأندلس، واستخدموا لذلك حليفهم ابن هود، حيث إتفق مع النصارى على تأييد ثوار الأندلس للقضاء على نفوذ المرابطين فيها، ونجح في الحصول على مؤيدين له في قرطبة، بعد إغرائهم بالوعود والعطايا[١]، وفعلا دخل قرطبة وحقق وجودا مؤقتا فيها، مما اضطر ابن حمدين الى مغادرتها الى حصن فرنجولش، ولم يكن حال ابن هود بأفضل من حال ابن قسي، اذ سرعان ما غادرها هاربا بعد اثني عشر يوم وذلك حين رفض عامة قرطبة وجوده فيها، وقتلوا وزيره ابن شماخ وعددا من مواليه[٢]، لانهم لم يحتملوا وجود جنود النصارى في المدينة الذين دخلوها برفقة ابن هود[٣] .

---

[١] دندش ، الاندلس في نهاية عصر المرابطين،ص ٧٨ .

[٢] ابن الآبار ، الحلة السيراء، ج٢، ص ٢٠٦ ،٢٥١ ؛ لسان الدين بن الخطيب ،اعمال الاعلام، ص ٢٥٣ .

[٣] دندش ،الاندلس في نهاية عصر المرابطين ، ص ٧٨ ؛ ومن قرطبة توجه ابن هود الى جيان والتي ثار بها قاضيها ابن جزي واستطاع ابن هود ان يبسط سيطرته على جيان ،وأثناء ذلك اضطربت الأوضاع بغرناطة فتوجه اليها ابن هود وتحالف مع القاضي ابن اضحى واليها الجديد الذي انضم الى ابن حمدين سابقا وبتحالفه مع ابن هود تراجع عن موالاته لابن حمدين لكن لم يقدر ابن هود على البقاء في غرناطة فغادرها وعاد الى جيان ،وهو فيها طلب منه أهل مرسية ان يساعدهم على ثورتهم بها ضد المرابطين فدخلها يوم الجمعة ١٨ رجب سنة(٥٤٠هـ/١١٤٦م) كما أرسل ابنه الى بلنسية بعد ثورة القاضي ابن عزيز ومنها مرسية انتقل ابن هود الى شاطبة ومات =

اما المرابطون وهم السلطة الحاكمة التي قامت الثورة ضد حكمهم، سعوا لاخمادها والمحافظة على وجودهم في قرطبة، وكان وجودهم الفعلي بشكل حاميات عسكرية، تولى عددا من افرادها وظائف في الدولة ولم يندمج المرابطون بقوة مع الناس بل اصبحوا طبقة مترفعة عن سائر عناصر مكونات المجتمع الأندلسي[1]. وخلال الفترة التي يغطيها البحث يبرز اسم يحيى بن غانية بوصفه المدافع الأول عن الوجود المرابطي في الأندلس، والذي بقي يقود الاعمال الحربية فيها بإسم المرابطين، ولم يتوان عن ذلك حتى وفاته سنة ٥٤٣هـ/١١٤٨م ، بصفته والي قرطبة وما إليها تولاها سنة ٥٣٨هـ/١١٣٤م ولاه تاشفين بعد ان اصبح اميرا للمرابطين[2].

وبطبيعة الحال كان ليحيى بن غانية دور مهم في مقاومة ثورات الأندلس ضد المرابطين، وبدأت مقاومته مع ثورة المريدين، ومن ثم بعد أن علم بثورة ابن حمدين غير خطته، ترك مقاومته لابن قسي وعاد الى قرطبة، لكنه لم يستطع دخول المدينة إلا عندما فشل ابن حمدين نهائيا من الاستمرار بحكمه لها[3]. ولابد من القول ان تواجد المرابطين في المدن الثائرة إنحصر احيانا في قصبتها كما في قرطبة وغرناطة، بينما

=

هناك ،ومجمل بقائه متنقلا بين مدن الأندلس الثائرة كان سنة واحدة ، ابن الآبار ، الحلة السيراء، ج٢، ص ٢١٢ ؛ لسان الدين بن الخطيب، اعمال الاعلام، ص ١٧٦ .

[1] ابراهيم القادري بوتشيش ، **مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين**، دار الطليعة ، بيروت، ١٩٩٨، ص ٣٥ ،٤٢ .

[2] الحجي ،التاريخ الاندلسي ، ص ٤٧٥.

[3] لسان الدين بن الخطيب،الاحاطة ، ج٤، ص٤٠٠.

في مدن اخرى تم اخراجهم خارج المدينة، وتمركزوا في اطرافها كما في مالقة ووادي اش[١]، وفي الحالتين لم تتوقف المواجهات القتالية بين الطرفين، في قرطبة خرجت غالبية القوات المرابطية مع ابن غانية لمقاومة ثورة المريدين، وانصب ذلك في مصلحة ابن حمدين، وبعد ان أعلن ابن حمدين ثورته إنسحبت القوات الباقية فيها الى قصبة[٢] قرطبة وساهمت في القضاء على حكم ابن حمدين، أما يحيى بن غانية بعد عودته من اشبيلية لجأ الى حصن مرجانة قرب قرطبة ومنه قاوم ابن حمدين[٣]، طوال مدة حكمه لقرطبة ولم يكف عن محاولة استعادتها[٤].

واستعان ابن غانية بالموالين له من اهل قرطبة للدخول اليها وفعلا تم له ذلك، لذا غادرها ابن حمدين الى حصن اندوجر بجوارها وتحصن به، ولم يتركه يحيى بن غانية حيث حاصره، وامام عجز ابن حمدين على مقاومته قام بالاستعانة بالنصارى ووجه اليهم لمفاوضته رسلا من أهل قرطبة[٥]. وبناءً عليه توجه اليه ملك قشتالة الفونسو(السليطين) بصحبة جيش كبير وبحمايتهم استطاع ابن حمدين ان

---

[١] ابن الآبار، المعجم، ص ١٤٧ .

[٢] قصبة قرطبة هي بناء مسور قديم في قرطبة يعود الى اصول رومانية ويوجد مثيله في مدن اندلسية اخرى وتطلق المصادر العربية على ذلك البناء اسم القصبة، احمد الطاهري، **البناء والعمران باشبيلية العبادية**، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٦، ص٢٠.

[٣] لسان الدين بن الخطيب، الاحاطة، ج ٤، ص٣٠٠ .

[٤] لسان الدين بن الخطيب،اعمال الاعلام ، ص ٢٥٣ .

[٥] ابن الآبار، التكملة، ج٤، ص٢٣٨؛ لسان الدين بن الخطيب، الاحاطة،ج١، ص١٥٢.

يدخل قرطبة مرة ثانية في٢٠ ذي الحجة سنة ٥٤٠هـ/ ٢٠ مايو ١١٤١م، فتمركز يحيى بن غانية مع قواته في قصبة المدينة يقاوم النصارى، في حين إنتشرت باقي قوات الفونسو في شرق قرطبة وعاثت بها فسادا[١]، وقتل خلال ذلك عدد من اهل قرطبة مثل محمد بن مسعود بن طيب[٢].

وادرك اهل قرطبة جسامة الخطر الذي سيتعرضون له في حال دخول النصارى الى المدينة فتعاونوا مع ابن غانية لردع ذلك، وفي تلك الاثناء عبر الموحدون الى الاندلس، مما حدا بالنصارى الى تغيير خطتهم ووقف القتال مع قوات ابن غانية المرابطية، ودخلوا في مفاوضات مع ابن غانية نتج عنها عقد صلح معه وتقديمه لهم مبلغا من المال، وقيامه بمقاومة دخول الموحدين الى الاندلس ، وعلى إثر هذا الصلح تركت القوات النصرانية قرطبة، وبهذا انتهى وجود ابن حمدين فيها واستقر بها ابن غانية مع قواته وبقي فيها مايقارب السنة [٣].

---

[١] ابن الآبار، الحلة السيراء، ج٢، ص ٢١٥ .

[٢] ابن الآبار، الحلة السيراء، ج٢، ص ٢١٥ ؛ لسان الدين ابن الخطيب، الاحاطة، ج٢، ص٢٨٨.

[٣] لسان الدين بن الخطيب، اعمال الاعلام ، ص ٢٥٤ ؛ الذهبي، محمد بن احمد بن عثمان، **سير أعلام النبلاء**، تحقيق مجموعة من المحققين بإشراف شعيب الارناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت،١٩٨٥، ج٢٠،ص٢٤٣ ؛ الحلة السيراء، ج٢٠، ص ٢٤٤؛ اما الوجود العسكري الأكبر للمرابطين كان في غرناطة حيث تحصن في قصبتها قوة عسكرية ضاربة من المرابطين وحصلت مواجهات قتالية بينهم وبين قوات الثائرين فيها ،ولكن كانت الغلبة للمرابطين في أخر الأمر لاسيما بعد ان تأذى أهل المدينة كثيرا =

اما ابن حمدين فذهب الى حصن فرنجلوث وبقي فيه مدة قصيرة ثم فضل عبور البحر والتوجه الى الموحدين مع توالي انتصاراتهم، وقابل عبد المؤمن بن علي طالبا معونته باستعادة سلطته على قرطبة لكنه لم يحصل على نتائج ايجابية ملموسة فعاد الى الأندلس، ونزل في مالقة عند القاضي ابي الحكم بن حسون، وتوفي فيها سنة ٥٤٦هـ/١١٥١م، ولما استولى الموحدون على مالقة نبشوا قبره واخرجوا جثمانه[١]، علما ان مدة حكمه لقرطبة دامت اربعة عشر شهرا[٢].

=

من جراء ذلك فساعدوا قوات المرابطين على دخول غرناطة والتي بقيت بيد المرابطين حتى سنة (٥٥١هـ/١١٥٦م) عندما دخلها الموحدون، ابن الآبار، الحلة السيراء، ج٢، ص ٢١٥ .

[١] ابن الآبار، الحلة السيراء، ج٢، ص ٢١٥ .

[٢] النباهي، تاريخ قضاة الاندلس، ص١٠٣.

المحور الثالث: نتائج ثورة ابن حمدين

شهدت الأندلس في سنة٥٣٩ هـ/١١٤٤م اوضاعا مضطربة، زاد من تفاقمها تدهور السلطة المرابطية، وقد عايش عامة الناس ذلك وعبروا عن تذمرهم من سوء الاوضاع، وكما عرضنا سابقا ثارت قرطبة اكثر من مرة على المرابطين تعبيرا عن ذلك، غير ان ماقام به ابن حمدين كان موقفا مغايرا لم يقم بثورته لمحاولة تحسين الأوضاع في قرطبة أو لإيصال صوت أهلها المطالبين بالإصلاح الى المرابطين، وانما خرج عن طاعة المرابطين نهائيا وأعلن حكما سياسيا جديدا في قرطبة بقيادته، ومارس خلال ذلك كل سلطات الحاكم الرئيسة من تعيين الولاة والقضاة على المناطق الاخرى من الاندلس التي ضمها بعد ذلك تحت امرته، وعقد ألوية الجيوش[١]، وحتى انه سك عملة نقدية تحمل اسمه[٢]، ولديمومة سلطته والحفاظ على ماحققه دخل في مواجهات قتالية مع المرابطين واستعان للقضاء عليهم بالنصارى وادخلهم قرطبة فعاثوا فيها فسادا .

والذي شجع ابن حمدين وباقي القضاة على تلك الخطوة مكانتهم المتميزة والمؤثرة في الناس، التي ترسخت بمرور الوقت وبلغت الذروة في عصر المرابطين. بحيث شكل الفقهاء طبقة اجتماعية متنفذة لها تأثيرها في المجتمع والسلطة على حد سواء، وهذه المكانة لاسيما ما يخص النفوذ لدى السلطة لم يصلها الفقهاء والقضاة في عصر أخر أو

---

[١] لسان الدين بن الخطيب، اعمال الاعلام، ص ٢٥٣ .

[٢] بوتشيش، مباحث، ص ١٤٩ .

مكان أخر[١]. من هنا تفرد قضاة الأندلس بذلك ومن هنا استمدوا القوة بإعلان انفسهم حكاما سياسيين عند إنهيار السلطة السياسية المرابطية في الاندلس .

وهنا تثار عدة تساؤلات مهمة: ١- هل ماقام به ابن حمدين وغيره من القضاة الثائرين كان في صالح الأندلس ؟

٢- هل يعد موقف القضاة ثورة حقيقية على الحكم المرابطي كما اسماها كل من كتب عنها من المؤرخين القريبين من عهدها مثل ابن الابار؟ ٣- والسؤال الاهم هو: مادور ماقام به ابن حمدين في سقوط السلطة المرابطية في الأندلس ثم الدخول في السلطة الموحدية؟ ٤-هل كان هناك حلول اخرى عليه إتباعها للخروج بالأندلس من منزلق الفتنة الداخلية ؟.

ويمكن القول ان ثورة اهالي الاندلس كانت رد فعل على سوء أوضاعهم، وليس لتغيير السلطة الحاكمة، فلجؤوا الى من يمكنه ان يقف بجانبهم ويكون صوتا لهم وتمثل ذلك بالقضاء، لكن القاضي ابن حمدين استغل ذلك الظرف، للحصول على مكاسب شخصية، وسعى للتغيير السياسي دون خطة محددة أو وجهة مدروسة، وحددت الظروف السياسية والادارية السيئة المتسارعة للأندلس مسار ذلك التغيير، واستغل حب العامة له ولعائلته وسماعهم لرأيه باعتباره من مقدمة فقهاء قرطبة وقاضيها، في حين كان حريا به ان يلتزم موقفا هادئا ومدروسا لمصلحة قرطبة والأندلس عامة، لاسيما وان بوادر سيطرة

---

[١] . جمعة شيخة، "التصوف الأندلسي بين الدين والسياسة خلال النصف الأول من القرن ٦/١٢"، *دراسات اندلسية*، عدد ٢١، جانفي ١٩٩٩، ص ٦٦.

الموحدين على المغرب كانت واضحة وبالتالي دخولهم الى الأندلس أصبح متوقعا ووشيكا .

لذا كانت ثورات القضاة في الأندلس رد فعل مباشر في التغيير السياسي في الأندلس وذلك بالتعجيل في دخول الموحدين إليها، اذ قامت ثوراتهم في مرحلة إنهيار الدولة المرابطية وقد أدرك ابن حمدين أول القضاة الثائرين أن الدولة المرابطية تعيش أيامها الأخيرة، وإن الأندلس تعيش وقتا هي بأمس الحاجة فيه الى موقف حازم وتاريخي وصادق للحفاظ عليها، ولكونه قاض لقرطبة عاصمة المرابطين في الأندلس، والمسؤوليات الكبيرة التي كانت تناط بالقاضي والثقة التي أولتها السلطة المرابطية للقاضي، كان الأجدر به اتخاذ موقف مغاير لما قام به. اذ افترضنا العكس كان يتوجب عليه على اقل تقدير حشد صفوف الأندلسيين ومنعهم من الفرقة، لاسيما مع وجود الخطر النصراني الداهم الذي يتحين الفرص للانقضاض، وإتخاذ رأي مشترك بين كل مدن الأندلس، وذلك بعد إعلان نفسه أميرا حاول أن يضمن ولاء باقي مدن الأندلس لدعم سلطته، لكنه فشل في ذلك لرغبة قضاتها بتقليده وإعلان انفسهم حكاماً مما جعل الأندلس تعيش ما يشابه عصر طوائف ثان .

في ذلك الوقت مازال يحيى بن غانية كان يدافع عن الوجود المرابطي في الأندلس، مع انهياره في المغرب. ويبدو للباحث ان موقفه ذلك يستحق التقدير خاصاً اذا كان نابعا من ولائه للمرابطين، ويعتقد الباحث كان الخيار الافضل لابن حمدين وباقي قضاة الأندلس الثائرين، من باب الولاء للاندلس والمحافظة عليها من الفتنة والضياع، لاسيما واستمرار مع الخطر النصراني الذي يراقب الأحداث ويتحين الفرص

لقلب الأوضاع لصالحه، لقد كان أمامهم (الاندلسيون) الخيار بين طريقين، إما العمل مع ابن غانية والاتفاق معه باعتباره يمثل السلطة الحاكمة، أو اللجوء الى القوة الجديدة التي ظهرت على مسرح الاحداث، وهم الموحدون والذي كان من الواضح تسيدهم للموقف السياسي والعسكري في المنطقة، كما انه لم يكن بمقدور اي سلطة طارئة جديدة قد تظهر الوقوف امامهم .

ربما كانت ثورة القضاة في بدايتها رد فعل لظروف الأندلس، لجأ الناس اليهم مع تفاقم الازمات الداخلية التي اثرت بصورة سلبية على الحياة العامة، لكن ذلك ادى الى ادخال القضاة بمعترك السياسة مما وضعهم وسط دوامة تخبط مع انهيار قوة المرابطين في الأندلس، وربما رغبوا بإعادة حكم الأندلسيين بأنفسهم، ولكن فيما بعد اصبحت تمثل طموحا شخصيا لافراد معينين لتولي السلطة، والأسوأ حصل من تداعياتها حيث تأزم وضع الأندلس أكثر وزادت انشقاقاته، بحيث تصادم القضاة فيما بينهم في اكثر من مواجهة قتالية[١]، بل انهم لجؤوا احيانا الى النصارى لمساعدتم في النزاع فيما بينهم، وبعض مدن الأندلس خاضت معارك قتالية كان اهلها في غنى عنها، قام بها القضاة الثائرون للحفاظ على السلطة الزائفة التي حصلوا عليها، لذا نجد أن دور قضاة الأندلس كان سلبيا في مرحلة حرجة من تاريخها، ولولا سرعة الدخول الموحدي الى الأندلس لشهدت عصر فتنة ثان.

[١] للاطلاع انظر: ابن الابار، الحلة السيراء، ص ٢١١_٢٢٢ .

وبهذا خرج القضاة الثائرون عن الكثير من المبادئ التي كان من المفترض التزامهم بها، بدءا من الولاء للأندلس ومسؤوليتهم في الحفاظ على أمنها واستقرارها، ومرورا بولائهم للمرابطين الذين عاشوا بكنفهم ووجدوا منهم كل التقدير والاحترام لمكانتهم العلمية[1]، هذا بالاضافة إلى أن دورهم كقضاة يلزمهم بالإصلاح وقد عبر عن ذلك محمد عبد الوهاب خلاف[2] ابلغ تعبير بقوله: "أن القضاء هو عماد الحرية والنظام والمسئول عن توطيدهما في المجتمع، والقول بغير هذا لا يعني سوى الاضطراب والانهيار والفوضى في المجتمع، وفقدان الأمن والأمان وضياع الحقوق وإهدار المراكز القانونية وتفشي شريعة الغاب وذيوع الفتنة وسقوط هيبة ولي الأمر وحقوق المحكومين"، ونهاية اخلوا بالتزامهم بقواعد الفقه المالكي الواجب عليهم تطبيقها، مثل: مسألة سد الذرائع التي تقول "بمنع الجائز لأنه يجر الى غير الجائز وبحسب عظم المفسدة في الممنوع يكون اتساع المنع في الذريعة وشدته".

وكان الإمام مالك بن انس حريصا على الالتزام بهذه القاعدة[3]، ومسألة طاعة ولي الأمر التي تؤكد على طاعة حاكم وعدم الخروج عليه

---

[1] نال القضاة حظوة وتقدير عاليين من قبل السلطة المرابطية ومنحوا امتيازات عديدة وصلاحيات واسعة لم تمنح لهم في العصور السابقة لغرض تحقيق العدل وإشاعة الأمن: بن بيه، الاثر السياسي ،ص١٦٩ .

[2] **تاريخ القضاء في الأندلس من الفتح الإسلامي الى نهاية القرن الخامس الهجري**، المطبعة العربية الحديثة، مصر، ١٩٩٢، ص ٢٢٠ .

[3] ابراهيم بن موسى الشاطبي، **الاعتصام**، المكتبة التجارية، مصر ،ج١، ص١٠٤، ٢١٢ .

واحد لتجنب الفرقة والشقاق، حيث أكد المالكية على ضرورة طاعة الحاكم حتى ولو كان جائرا لتلافي المشاكل والأزمات التي قد تنتج عن الخروج عن طاعته[١] ، وفعلا حصل الضرر جراء عدم التزام القضاة الثائرين بتطبيق تلك القواعد الفقهية.

تابعنا كيف أن أهل قرطبة تخبطوا في ولائهم بين المرابطين وابن هود وابن قسي وابن حمدين وهذا ايضا كان حال باقي مدن الأندلس، وفي ذلك دلالة على عدم وجود فئة غالبة منهم وفي نهاية المطاف دخلوا ضمن السلطة الموحدية، كما تربص النصارى اي فتق في نسيج الأندلس لتوسيع سيطرتهم داخلها، مستخدمين في ذلك ابن هود، الذي كان الواجهة التي حاول من خلالها النصارى التغلغل في داخل المدن الثائرة .

وخلاصة القول ان ثورة القضاة كان لها وجه سلبي يتمثل في الطمع في السلطة على حساب المصلحة العامة، ومحاولة الحصول عليها بشتى الوسائل والتخلي في سبيلها عن الكثير من الثوابت الوطنية والقواعد الشرعية، وعدم تقدير القضاة للمسؤولية الجسيمة التي حملوها ولم يكونوا اهلا لها، ووجه ايجابي لانها عجلت بتغيير السلطة السياسية الحاكمة في الأندلس بدخول الموحدين، وبهذا انقذت الأندلس من منزلق

---

[١]. يوسف بن عبد الله ابن عبد البر، **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد**، تحقيق مصطفى بن احمد العلوي ومحمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ١٩٦٧،ج٢٣،ص ٢٧٩؛ محمد بن احمد ابن رشد، **البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل لمسائل المستخرجة**، تحقيق محمد حجي واخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٨، ج١٨،ص٥٢٢ .

مواجهة فتنة الاقتتال بين اهاليها أو امتداد سيطرة النصارى على مناطق اكثر.

وازاء تلك الاوضاع ايقن فقهاء الأندلس ان الحل الامثل لاستقرار الوضع وتحسين الاحوال، هو الطلب من الموحدين دخول الأندلس مثلما حدث مع المرابطين قبلهم، وعليه خرج وفد من اهلها الى مراكش وطلبوا من عبد المؤمن دخول الأندلس، ومن المفارقة أن ابن حمدين كان ذلك ضمن الوفد[١] .

[١] علي بن محمد ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٧، ج٩، ص ١٤٦.

الخاتمة

عاشت الاندلس اياما عصيبة ابان المرحلة الانتقالية من العصر المرابطي الى العصر الموحدي ومن البديهي ان اي تغيير جذري في السلطة لايتم دون اي تبعات سياسية عامة على البلاد موضع التغيير ،لكن ماحدث في الاندلس من قيام عدد من قضاتها باعلان انفسهم حكاما للمدن التي كانوا قضاتها قدم صورة سلبية عن دور القضاة وقت الازماتوأن ثورة القضاه كانت مرحلة طارئة في تاريخ الاندلس لم تدم طويلا.

قائمة المصادر والمراجع

اولا: المصادر

ابن الآبار، محمد بن عبدالله (ت٦٥٨ه/١٢٥٨م)

١_ **التكملة لكتاب الصلة**، تحقيق عبد السلام الهراس، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥.

٢_ **كتاب الحلة السيراء**، تحقيق حسين مؤنس، دار المعارف، مصر، ١٩٨٥ .

٣_ **معجم أصحاب القاضي ابي علي الصدفي**، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، ٢٠٠٠.

ابن الأثير، علي بن محمد(ت٦٣٠ه/١٢٣٢م)

٤_ **الكامل في التاريخ**، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٧.

ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله (ت٤٦٣ه/١٠٧٠م)

٥_ **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد**، تحقيق مصطفى بن احمد العلوي ومحمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ١٩٦٧.

ابن الخطيب، محمد بن عبدالله(ت٧٧٦ه/١٣٧٤م)

٦_ **الإحاطة في أخبار غرناطة**، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣.

٧_ **كتاب أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام**، تحقيق وتعليق ليفي بروفنسال، دار المكشوف، بيروت،١٩٥٦.

الذهبي، محمد بن احمد بن عثمان(ت٧٤٨ه/١٢٤٨م)

٨_ **سير أعلام النبلاء**، تحقيق مجموعة من المحققين بإشراف شعيب الارناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت،١٩٨٥.

ابن رشد، محمد بن احمد (ت٥٢٠ه/١١٢٦م)

٩_ **البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل لمسائل المستخرجة**، تحقيق محمد حجي واخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٨.

الشاطبي، ابراهيم بن موسى (ت٧٩٠ه/١٣٣٨م)

١٠_ **الاعتصام**، المكتبة التجارية، مصر.

ابن عذارى، محمد بن محمد (كان حيا في سنة٧١٢ه/١٣١٢م)

١١_ **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تحقيق ج.س.كولان وليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، ١٩٨٣.

ابن القطان، حسن بن علي (ت٦٢٨ه/١٢٣٠م)

١٢_ **نظم الجمان لترتيب ما سلف من اخبار الزمان**، تحقيق محمود علي مكي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠١١.

المراكشي، محمد بن محمد بن عبد الملك (ت٧٤٣ه/١٣٤٢م)

١٣_ **الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة**، تحقيق احسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٥.

مؤلف مجهول (من اهل القرن الثامن للهجرة/الرابع عشر للميلاد)

١٤_ **الحلل الموشية في ذكر الاخبار المراكشية**، تحقيق سهيل زكار وعبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ١٩٧٩.

المقري، احمد بن محمد (ت ١٠٤١ه/١٦٣١م)

١٥_ **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٩٧.

النباهي، ابو الحسن بن عبدالله (ت ٧٩٣ه/١٣٩٠م)

١٦_ **تاريخ قضاة الأندلس(المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا)**، دار الأفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨٣.

النويري، احمد بن عبد الوهاب (ت٧٣٢ه/١٣٣٢م)

١٧_ **تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط(من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب)**، تحقيق مصطفى ابو ضيف احمد، دار النشر المغربي، ١٩٨٥.

اليحصبي، القاضي عياض بن موسى (ت٥٤٤ه/١١٤٩م)

١٨_ **الغنية فهرست شيوخ القاضي عياض**، تحقيق ماهر زهير جرار، دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٢ .

ثانيا: المراجع

ابراهيم القادري بوتشيش

١_ **مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين**، دار الطليعة ، بيروت، ١٩٩٨.

٢_ **المغرب والأندلس في عصر المرابطين (المجتمع،الذهنيات،الأولياء)**، دار الطليعة ،بيروت ،١٩٩٣.

بن بيه، محمد محمود عبدالله

٣_ **الاثر السياسي للعلماء في عصر المرابطين**، الأندلس الخضراء _ دار ابن حزم، جدة –بيروت، ٢٠٠٠.

الحجي، عبد الرحمن علي

٤_ **التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة**، دار القلم، دمشق، ٢٠٠٨.

خلاف، محمد عبد الوهاب خلاف

٥_ **تاريخ القضاء في الأندلس من الفتح الإسلامي الى نهاية القرن الخامس الهجري**، المطبعة العربية الحديثة، مصر، ١٩٩٢.

دندش، عصمت عبد اللطيف

٦_ **الأندلس في نهاية عصر المرابطين ومستهل الموحدين**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٨.

السلاوي، احمد بن خالد

٧_ **الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، (بلا.ت).

الطاهري، احمد

٨_ **البناء والعمران باشبيلية العبادية**، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٦.

ثالثا: المقالات

١_ محمود علي مكي ، "التراث المشترك الأندلس المغربي في ميـــدان التصـــوف"، كتاب: **التراث الحضاري المشترك بين اسبانيا والمغرب والمغربـي**، ندوة دولية ايام ٢١_٢٣ ابريل ١٩٩٢،منشورات اكاديميـــة المملكـــة المغربيـــة ، الربـــاط،١٩٩٣، ص١٦١.

٢_ جمعة شيخة، "**التصوف الأندلسي بين الدين والسياسة خلال النصف الأول من القرن ١٢/٦**"، *دراسات اندلسية*، عدد ٢١، جانفي ١٩٩٩، ص ٦٦.